14 me Année No. 677

Lundi—24—6—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٧٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٤ رجب سنة ١٣٦٥ — ٢٤ يونية سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

أصـــول الـكلمات

للاستاذ عباس محمود العقاد

قرأت فى « الثقافة » الغراء مقالا للكاتب الفاضل الأستاذ محمد فريد أبى حديد بعنوان « القواص المذهب » قال فيه :

« وكانت وظيفة القواص بسيطة جدا تتلخص فى أن يقف ذلك الموظف على باب سيده الباشا الكبير ، أو الحاكم الجليل لا بسا ملابسه الزاهية الموشاة بالقصب الذهبى اللامع . ويحرص على أن يربى شواربه حتى تصير مثل الحبال الطويلة ، ثم يبرمها برما شديدا ويشدها بالأدهان حتى تصير مجدولة ترفع طرفيها كالحراب ، فيصبح منظره بهذا مهيبا يقع فى النفوس موقع الرهبة ؛ وصارت هذه الشوارب موضع تفاخر القواصين » .

وقد التزم الأستاذ أبو حديد كتابة الكلمة فى الافراد والجمع بالصاد كما رأيت ، ولعله لاحظ فى ذلك لهجتها التى كانت تلفظ بها وحروفها التى كانت تكتب بها فى عهد الدواوين التركية ، لأن وظيفة « القواص » كما وصفها الأستاذ هى الوظيفة التى عرفت بين المصريين وغيرهم من الأمم التى شملتها دولة الخلافة العثمانية فى أواخر أيامها . فلم يكن « للقواص » عمل غير الوقوف على الأبواب ولم تزل الكلمة تقترن بأصحاب هذا العمل من الترك والأرنؤود والشراكسة حتى حسبت من كلمات اللغة التركية ، وكتبها بعضهم فى أوربة كما كان ينطقها الترك كشاش Kavasse .

ولكن الكلمة على التحقيق عربية من بقايا الدولة العباسية ، لأن القواسين كانوا طائفة من طوائف الجند يحملون الأقواس كما كان السياقون يحملون الأسياف ، والنبالون يحملون النبال ، والرماحون يحملون الرماح . ولم يكن عمل القواس فى أول عهده مقصورا على الوقوف بالأبواب والإذن لطلاب المثول بين أيدى الأمراء والرؤساء ، ولكنه كان يتقدم الأمير فى موكبه أو يخرج بين يديه كلما خرج للصيد أو فى محافل العرض العسكرى ليحمل له القوس التى يصيد بها أو يستخدمها فى الرماية ؛ لأن الأمير كان يتقلد سيفه ولا يعهد فى حمله إلى غيره كما يفعل بالأقواس والرماح .

وكان قادة الجند فى أواخر عهد الدولة العباسية من الترك والديلم فاحتفظوا بمراسم الامارة حتى قامت الدولة العثمانية ونقلت عن خلفاء المسلمين وأمرائهم من قبلها بعض مراسم الامارة والحجابة ، ومنها مشية القواس بين يدى الأمير ووقفته على بابه وقيامه قواسا بغير قوس بعد أن أغنى عنه حامل البندقية والطبنجة ، بل بعد أن أصبح القواس نفسه يحمل الطبنجة فى حزامه ، ولا يعرف ما القوس وما الرماية بالسهام .

وهكذا تعيش الكلمات أحيانا ، وتفنى الدول والامارات وما اقترن بها من المعالم والأشياء .

على أن الرجوع بالكلمات إلى أصولها يمضى بنا بعيدا فى مجاهل النقل والاستعارة . فإننا نذكر القواس والرماح والسياف ونعلم أن السياف حامل السيف ، وأن السيف كلمة عربية قديمة

من ساف ماله أى هلك كما قال ابن دريد . ولكن بعض الأدباء ينكرون على ابن دريد هذا الاعتساف فى رد الكلمة إلى ساف يسيف ويقولون إنها يونانية الأصل من سيفوس « Xifos » التى حذف منها العرب آخرها كما يفعلون بكثير من أواخر الكلمات وأن العرب أخذوا كلمة الحربة من العبرانيين ، وهى عندهم من حرب بمعنى الخرب أو الخراب .

قلت : لاضير على العرب أن تنقص من لغتهم كلمة بمعنى السيف فقد تنيهم عنها مئات الكلمات ، ولا ضير أن يفقدوا « خربة » واحدة فمندهم الصحراء بل الصحارى التى لا يقدر عليها أحد غير أبناء يعرب وقحطان .

إلا أن الكلمة التى لا يفرط فيها العرب ولو كان لهم فى أصل معناها ألوف الكلمات هى كلمة « العقل » التى ظن الأب أنستاس الكرملى أنها متحولة من اللاتينية فقال فى مجلته لغة العرب : « ... ذكر صاحب تاج العروس سبب تسمية العقل بهذا الاسم وسر اشتقاقه أو أصل اشتقاقه من مادة عقل فقال ما هذا حرفه : واشتقاقه من العقل وهو المنع لمنعه صاحبه مما لا يليق ، أو من المعقل وهو الملجأ لالتجاء صاحبه إليه ، كذا فى التحرير لابن الهمام. وقال بعض أهل الاشتقاق : العقل أصل معناه المنع ومنه العقال للبعير سمى به لأنه يمنع عما لا يليق . قال :

قد عقلنا والعقل أى وثاق وصبرنا والصبر مر المذاق

وقد راجعنا كتبا كثيرة فى هذا المعنى فرأينا أصحابها لا يخرجون عن القول بأحد هذه الآراء . ونحن لا نرى هذا الرأى ، والذى عندنا أن أصل معنى العقل هو العين لأنه عين النفس وباصرتها . ثم مات المعنى المادى وبقى المعنى المجازى ، يشهد على ذلك أن اللاتين يسمون العيون والعقل باسم واحد ، وهو عقل Oculi ... » .

كذلك قال الأب أنستاس . وقد عقب عليه الأستاذ روكى ابن زائد العزيزى معلم العربية بكلية تراسانته بالقدس فى مجلة الأديب البيروتية فقال : « فلو قلنا إن العرب قالوا : عين القلب . ثم نحتوا من الكلمتين كلمة واحدة — عقل — لما أبعدنا عن الصواب . ولو سايرنا ما ذهبتم إليه وقلنا إن العقل من عق لكان مقبولا ، لأن العقة هى البرقة المستطيلة فى السماء ، وهل العقل إلا وميض النفس وعين القلب ؟ » .

ثم راح يقول : « ويقال عق بالسهم إذا رمى به نحو السماء وذلك السهم العقيقة ... قال الجوهرى :

عقوا بسهم ثم قالوا صالحوا ياليتنى فى القوم إذ مسحوا اللحى

وذلك السهم يسمى العقيقة وهو سهم الاعتذار ، وكانوا يفعلونه فى الجاهلية ، فإن رجع السهم ملطخا بالدم لم يرضوا إلا بالقود ؛ وإن رجع نقيا مسحوا لحاهم وصالحوا على الدية » .

قلنا : والعقل براء من كل هذه الفروض والتخمينات فى حرفه ومعناه ؛ إذ ينبغى قبل أن نفرض النقل من اللاتينية أن نفرض استخدام الكلمة فى لغتها الأصلية بهذا المعنى ، ونفرض خلو اللغة العربية مما يقابلها ، ونفرض الوسيلة التى تم بها النقل من طريق السماع أو الكتابة ، ونستبعد — عقلا — أن ينشأ معنى العقل من معنى العقال ، وهو غير بعيد ... بل هو أقرب شىء إلى ذهن العربى الذى يوازن أبدا بين حالتى الانطلاق وحالة الاعتقال ، ويتحدث عن كبح الشهوات وكظم الغيظ ، ويستعير الحجر فى مادة أخرى من الحجر وهو المنع والتقييد . وصدق المتنبى حيث قال :

وبعض العقـــل عقال

والحجر كما لا يخفى هو العقل ، والحجر كذلك هو المنع ، كما فى عقل وعقل بلا اختلاف .

فلماذا نرجع إلى العقل المنحوت من عين القلب أو نرجع إلى العقل المأخوذ من الكلمة اللاتينية وهى لم تطلق على هذا المعنى قط فى أصلها الأصيل ؟ ولماذا نأبى أن يكون الرجل العاقل هو الرجل الذى يملك زمام نفسه ، فلا يندفع مع الأهواء والشهوات ؟ وأى شىء أقرب شبها للعقل الزاجر عن الأهواء والشهوات من عقال البعير ، ولجام الفرس ، وكل كابح عن كل اندفاع ؟

عرضنا لهذا التخريج فى بعض المجالس فقال أديب : إذن هذا الكرسى مأخوذ من شير Chair الانجليزية .

وقال آخر : لا بل هو مأخوذ من كر ومن رسا ، لأن الإنسان يرسى على الكرسى بعد الكر والتعب .

وقال آخر : بل هو مأخوذ من جلس ، ثم صحفت الجيم كافا واللام راء ، وهو قريب فى مذهب التصحيف .